

## النورسي متكلم العصر الحديث

أ. د. محسن عبدالحميد \*

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تجمعت قوى الظلام والتدمير في العالم، على اطفاء نور الاسلام واستعباد ابنائه، والتخطيط لاسقاط دولته التي حافظت على كرامة ابنائها حوالي خمسة قرون. ومن هنا ظهرت الاعماق الخفية للمرتدين، وتوضحت صورتهم الحقيقية، فبثوا الدعاية وضخموا الاخطاء، واطلعوا الاعداء علي العورات ومكنوهم من احتلال البلاد. تقودهم قيادة اليهودية العالمية وبؤرها الماسونية، وتنصرهم الصليبية ودولها بقواها الغاشمة، ليسقطوا الدولة، وينتهكوا الكرامة، ويسفكوا الدماء، ويغيروا القيم والموازين والقوانين، ويظهروا في الأرض الفساد، باظهار الخلاعة واقامة المنكر ونشر الالحاد، واخراج المسلمين من حضارة العلم والايمان الى حضارة الكفر والطغيان.

هذه التحديات الهائلة، حركت الاجساد الهامدة، والافكار الراقدة، والجموع الحائرة، والجحافل المنهزمة. ظهرت في استجابات دعوات المصلحين، وصيحات الغيورين، وافكار العلماء، ودماء الشهداء. في كل صقع ترتفع فيه شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله.

وكان نصيب المسلمين في تركيا المسلمة من ذلك الكفاح والجهاد نصيباً يتسامق مع فخار تلك الأمة المؤمنة التي قادت بدماء شهدائها الابرار، عبر قرون من الزمان، معارك الاسلام الكبرى، التي صدّت قوى الصليبية الزاحفة، عن الأمة الاسلامية وعن ديارها المقدسة في أرض الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى المبارك. فحال بينها وبين حدوث كارثة اندلسية أخرى، في الشرق العربي المسلم، عندما سدّت النوافذ المفتوحة، وسيطرت على البحار المشرفة، وحطمت الجيوش المتقدمة، ومألت الفراغ الرهيب.

لقد شاءت ارادة رب العالمين ألا نموت هذه الأمة الاسلامية الشاهدة، الحاملة لآخر رسالة سماوية الى الكون كله، فبعثت الربانيين الصادقين، والعلماء العاملين، والمجتهدين المتتورين، والمجددين المخلصين، الذين كانوا شهوداً ظاهرين على معجزة الاسلام في الحياة، لانقاذ الأمة من السقوط الحضاري الذي وقعت فيه، واعادتها الى صدر الاسلام الحنون وحضارتها الربانية السمحة، بعقيدها الفطرية، وشريعتهما الحكيمة واخلاقها الرفيعة.

وفق الله تعالى الاستاذ الكبير والامام الجليل والداعية المثبت الى انجاز خير كثير في هذا الوطن الاسلامي العريق. ففي ميدان السياسة الاسلامية اعتمد على التوثب الحذر، والمواجهة الذكية والتخطيط الهادئ ومراعاة ظروف الأمة ومعالجة ادوائها في جذورها البعيدة، ومظاهر الحياة الاجتماعية في قواعدها التحتية وتحويل المعركة من اسلوب اعلامي فاضح الى مخطط فكري عميق ينظف الازهان ويعالج الادران ويشخص الاعداء ويهئ لصياغة الأمة المنكوبة من جديد.

وكان النورسي من قوة الايمان، واطمئنان اليقين وعزة النفس وصلابة الشخصية وعظم الشجاعة، بحيث كان يستطيع ادارة المعركة الدموية ومواجهة الحكام في زمانه مواجهة صريحة هادرة، ولكنه كان موقناً بان ذلك الاسلوب لم يكن في مصلحة الأمة، وكان يدرك تماماً أن الأمة في صراعها الداخلي يومئذ لم تكن بحاجة الى الشهداء، وانما كان بامس الحاجة الى العلماء الصادقين - والدعاة العاملين والحكماء المفكرين، من أجل انقاذ الايمان والوقوف امام الردة الحضارية والزحف الجاهلي، متمثلاً بالحقن الصليبي والتآمر اليهودي، وخيانة المنافقين.

وأما في مجال العقيدة الاسلامية، فقد اقتنع النورسي أنه لم يعد يكفي في ادارة صراع الزمن الجديد، علم الكلام المصطلحي الذي كان يتعامل مع مادة معرفية عتيقة انتهى عهده، وولت صراعاته اللاهوتية النظرية.

نعم، لم يعد يكفي منهج المتكلم المعتزلي الذي دخل في جدال تجريدي من أجل ابعاد مفهوم الصفات الالهية عن الاقانيم

النصرانية، محاولة لمنع المسلمين من الوقوع في شرك موهوم وتجسيد رواقى مستورد. ولم يعد يفيد الامة منهج حفظة النصوص في مواجهة المعتزلة، في الدعوة الى عدم الخلط بين اوراق الاسلام واوراق الصراعات اللاهوتية ومصطلحاتها.

وكذلك لم يكن يسعف في المعركة الجديدة، منهج الاشاعرة في نفي التطرف من التجسيم الحشوي والعقلاني المعتزلى، ومحاولة التقريب بينهما ليقدم حلاً وسطاً في المسائل المتعلقة بالتوفيق بين النقل والعقل في علم الكلام القديم الذي كان يشكل ايدولوجية مرحلية مقبولة يومئذ بين المسلمين أو جمهورهم. واخيراً هل كان ينهى مواجهتنا مع اخلاقيات الحضارة المادية في اطار جاهلية شاملة، منهج المتصوفة الرهاد الذين يظنون يسرون في مدارج السالكين دون التفكير بالعودة الى الأرض ليقودوا حركة مواجهة طغيان هذه الجاهلية العالمية، وادواتها السلوكية المدمرة.

لقد كان الزمن الاسلامي الجديد ينتظر بفارغ الصبر عقلية متحضرة واعية، ومتكلما منظراً، يمتلك علماً اسلامياً غزيراً، وادراكاً ايمانياً عميقاً لطبيعة الصراع بين منظومة الحضارة الاسلامية ومنظومة الحضارة الغربية في ظل مرحلة التأخر والسقوط الحضاري، والخواء الايماني الذي كان يعيش فيه المسلمون يومئذ.

لقد شاءت ارادة الله ان يكون ذلك المتكلم المعبر عن زمانه هو الاستاذ بديع الزمان الذي:

اولاً: اكتشف تماماً أن غزواً فكرياً مركزاً يشن على العقيدة الاسلامية، واسقاط هويتها وهيبه شريعته ونظامها الاخلاقي في نفوس المسلمين، ابتداء من الدوائر الاجنبية وانتهاء باجهزة الاعلام والثقافة والتربية التي كان يقودها الملاحدة والمنافقون والماسونيون وتلامذتهم وعملاؤهم ممن تشبعوا بالافكار المادية الحديثة.

ثانياً: حاول ايجاد علم كلام قرآني يعتمد على الأدلة المتدرجة من المحسوس الى المجرد، محققاً بتجربة واعية المطابقة الكاملة بين القرآن المقروء والقرآن المنظور والقرآن الثالث، النموذج المطبق الذي هو رسول الله ﷺ، الذي يعدّه ثمرة الكائنات التي لم تكن لتكمل إلا بمجيئه المبارك.

ومن هنا فانه لم يقتصر على موضوعات علم الكلام القديم وانما تجاوز ذلك الى بيان المذهبية الشاملة في الوجود، بما فيها الانسان والطبيعة، فغداً مخططه الكلامي الحديث مواجهها تماماً لمخطط الغربي الأيدولوجي في اقتحام الموضوعات المذكورة من وجهة نظر الفلسفات المادية.

ثالثاً: ظهر له ان المواجهة غير متكافئة بين أمة هزيلة مغلوب على امرها وبين القوى الطاغوتية الغاشمة التي كانت لا ترحم في فرض الكفر عن طريق التصنيفات الجسدية الرهيبة للذين يقفون في طريقها في تغيير هوية الأمة وسلخ جلدتها وادخالها في ثقافات منحرفة وانظمة اجتماعية كافرة لاصلة لها بها ديناً وتاريخاً وحضارة ولغة.

رابعاً: قرر المواجهة لمنهج اصولي شامل جامع يوقف المسلمين امام تلك الكوارث الكبرى في خندق واحد، لانه لم يكن يؤمن في هذا الكون إلا بخندقين متقابلين؛ خندق الايمان والرحمن، وخندق الكفر والشيطان.

خامساً: لا يؤمن الاستاذ النورسي بالمعرفة الجزئية ويعدها ناتجة عن نواقص العقل البشري. فمهما اوتى العالم المسلم علماً من العلوم أو معرفة محدودة من المعارف أو غاص في سر من اسرار الوجود، فانه لن يستطيع الوصول الى المعرفة الشمولية والقانون الرابط للكون، وحينئذ يفقد الموازنة والاتساق.

ولذلك فانه يبين أن فهم القرآن الكريم والاطلاق على حقائقه بمقدماته ونتائجه في عالم الانفس والافاق هو الذي يرسم الموازنة الكاملة في فكر العالم المسلم والعارف المسلم، لأن طريقة القران الكريم هي اقرب الطرق الى اثاره الفطرة الانسانية وتحريك العقول الباحثة عن الحق والقلوب العامرة بالتوثب الدائم نحو الكمال.

ومن هنا فان منهج النورسي في رسائل النور الخالدة، قد عصمه الى حد كبير من الانزلاق الفكري في اخضاع النصوص الى

متطلبات الحياة المتغيرة، وعوارض قصور القهيم البشري، البعيد عن هداية الكتاب العزيز والسنة المطهرة، على الرغم من قدرته الفائقة في السريان الى ابعد معنى في تتبع خلايا الوجود في اطار اوسع دائرة ممكنة في الطوق البشري. سادساً: النورسي يفصل بحسم بين الوحي الالهي وحركة التاريخ الاسلامي، ولذلك فانه مجدد حقاً، يحاول ان يجدد حياة امته في الزمن الحاضر والمكارن الحاضر والصراع الحضاري الحاضر، ولكن بقيادة القرآن الكريم واستاذيته الربانية، ورياده الرسول الاعظم ﷺ والقيم الرفيعة النبيلة التي صاغت كتائب المجاهدين.

وهو لا يدعو الى النكوص الى الورا ولا الوقوف عند الزمن الحاضر، وانما يؤمن بحركة الأمة الاسلامية، وتجديد الفكر الاسلامي في كل عصر، موازيا للمستوى الحضاري الذي وصل اليه الانسان، بعيداً عن المادية الاسنة، المشدودة خيوطها بمراكز القوى اليهودية والنصرانية والزندقة الحديثة.

سابعاً: النورسي لا ترفض الفلسفة الحققة أو الفلسفة المؤمنة، وانما يرفض العبثية التي تنكر اله الكون ونظام الكون، وترفض مبادئ الدين الحق، ولقد غدت تلك الفلسفة وسيلة للتردى في الضلالة والالحاد والسقوط في هاوية المستنقع العفن للطبيعة الجامدة، والتي ترى القوة نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف الى المنفعة في كل شئ، وتتخذ الفراغ دستور للحياة وتلتزم بالعنصرية رابطة للجماعات.

ومن المعلوم كما يقول استاذنا الجليل، أن شأن القوة هو الاعتداء وشأن المنفعة هو التزاحم وشأن الصراع هو النزال والجدال وشأن العنصرية هو الاعتداء.

أما الفلسفة القرآنية - إن صح التعبير - فهي تقبل الحق بدلاً من القوة، ورضى الله بدلاً من المنفعة، والتعاون اساساً في الحياة بدلاً من الصراع وتلزم برابطة الدين والانسانية بدلاً من الرابطة العنصرية.

على ان بديع الزمان لا يرفض الفلسفة المادية فحسب وانما يرفض ايضاً ما يسمى بالفلسفة الالهية القديمة التي تحولت الى ابواب من الشرك، ممثلة بروادها اليونانيين من امثال افلاطون وارسطو وتلامذتهم من المسلمين كالفارابي وابن سينا الذين لتأثرهم بالفلسفة اليونانية، لم ينالوا إلا ادنى درجات الايمان، لأنهم لم يتخذوا القرآن الكريم استاذاً لهم في الحياة.

ثامناً: يرفض الاستاذ المنطلقات الثقافية في الحضارة الغربية، لأن المادية البحتة هي التي توجهها، ولا يرفض الجوانب العلمية فيها، من منطلق ان الاسلام دعا المسلم أن يتحرك في اطار اكتشاف قوانين الحياة والاستفادة منها لاقامة الحضارة وبناء التقدم، ولذلك فانه من ضرورات اقامة المجتمعات القوية، أي إنه يؤمن ان المجتمعات الاسلامية تحتاج الى تبنى التقنية الحديثة، مع المحافظة على الايمان والاصالة والقيم الذاتية للأمة الاسلامية.

تاسعاً: واخيراً وليس اخراً، يؤمن الاستاذ النورسي، في حركة التغيير الاجتماعي الى النظام ويرفض الفوضى، ويعتقد بالتدرج وينكر الطغرة لأنها تتناقض مع نظام الكون القائم على شبكة من القوانين التي تعتمد التدرج.

وفي ضوء ذلك يدعو الانسان الى تغيير اجتماعي منظم يتمسك يقانون التطور الفطري الذي يبدأ من القاعدة الى القيمة، لا العكس، ويؤدي الى زعزعة الحياة الاجتماعية، وينتج منه شر مستطير، وتخريب كبير.

ولايمان الاستاذ بالتغيير في اطار الوعي الاجتماعي والدعوة السليمة والتخطيط الهادئ، فانه لا يبيح الجهاد المسلح في داخل المجتمع الاسلامي الموجه الى الدولة ومؤسساتها، لان ذلك لا يخدم من وجهة نظره إلا العدو الخارجي المتربص بالمجتمع الاسلامي من حيث هو كل واحد.

على انه لا ينكر ان استعمال الهرواة قد تحتاج اليه العصابة المؤمنة القوية في المراحل الاخيرة من بناء المجتمع الاسلامي الجديد، لأن من لا يفيد النصح والارشاد حينئذ، يفيد القلع والابعاد، حسب تعبير الامام الشهيد رضي الله عنه وعن شيخنا بديع الزمان.

هذا هو الاستاذ النورسي، العلامة، المتكلم المجدد المرربي، الحركي العظيم، الذي نكتشف الكون الاسلامي والانساني كله

من خلال كلماته المتأججة الخالدة المتطورة الى الامام دائماً، في نماء خصيب كخصوبة مهرجان الربيع الذي كان يعشقه ويحتضنه كل عام بروحه وكيانه، فيقود موازياً له مواكب كلماته الخالدة في رسائله النورانية القرآنية الباهرة، في مهرجان آخر الى الله تعالى، لينتدز ايمان امة غافلة منكوبة، خطط الاعداء لسرقة ايمانها وتغريب ثقافتها وتغيير دستور حياتها، والحيلولة دون انفجار صوتها من جديد.

إذن فمنهج النورسي التجديدي الكلامي التغييرى ليس منهجاً مرحلياً مرتبطاً بزمن معين، ولم يكن علاجاً لمشكلات معينة، وانما هو المنهج الشمولى الذى يشكل السقف الراسخ فوق حركة الأمة الاسلامىة، لكن بلغة العصر، وحياء العصر، وصراع العصر فى مواجهة جاهلىة العصر.

لقد كان علم المتكلمىن السابقىن من الكتب - اما علم النورسى فبدأ من الكتب ثم تجاوزها الى الكون فالقرآن الكرىم، فرسول الله ﷺ، ثم الى حركة اىمانىة اجتماعىة، اجتهدت فى اصلاح ما أفسد الناس. فشتان بين علم مجرد وعلم مطبق، وبين علم مقيد وعلم مطلق.

رحم الله تعالى شىخنا النورسى رحمة واسعة - واجزل مثوبته، وجزاه عن امته خىر الجزاء، وحشره مع الانبىاء والمرسلىن والشهداء والصالحىن وحسن اولئك رفىقا. والسلام علىكم ورحمة الله وبركاته.

\* \* \*

## النورسى ودعوته

ابو الحسن على الحسنى الندوى

بسم الله الرحمن الرحىم

الحمد لله رب العالمىن والصلاة والسلام على سىد المرسلىن وعلى آله وصحبه اجمعىن ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وبعد:

قد كتبت فى الصراع بين الفكرة الاسلامىة والفكرة الغربىة من ان الوضع الذى واجهه الاتراك العثمانىون فى اواسط القرن التاسع عشر رغم الدولة الحرة واسعة الارعاء هو انهم فقدوا روح الثقة بالنفس وعرفان الذات بعمر العصور وكر اللبالى والدهور ولم يكن فىهم حماس القرون الاولى ولا قوة الاىمان والىقىن لإبداء العلماء وزعماء الدين ضعفاً وقصوراً فى توجيه الامة والبلاد توجيهها علمىا وفكرىا وفوق كل ذلك فقد اشتغل السلاطىن إلا من عصم ربك، اسم الدين والخلافة لصىانة مصالحمهم الخاصة وتحقىق رغباتهم. زىادة على ذلك كانت الحضارة الغربىة فائضة بالروح الجدىة والطاقات الجدىة، وممتلئة بالحماس الجدىد والآمال الجدىة، وجدت وكلاءها فى تركبا فكرىاً علمىاً فى صورة ضىاء كوكب وآب وكمال اتاتورك وكان اولهما رائد التنور الفكرى الغربى، وقد تكهن فى سنة ١٩٠٠م بانقراض الدولة العثمانىة واضطراب جلعها، والثانى اعلن الغاء الخلافة وقام بعلمنة البلاد، حتى اصبحت تركيا تفقد طابعها الاسلامى ومزاىها الاسلامىة التى كونتها واحتضنتها منذ زمن بعىد.

ولكن سنة الله فى هذا الكون ومن الحقائق التارىخىة ان المتقصى للتارىخ الاسلامى لا يرى ثغرة ولا ثلمة فى جهود الاصلاح والتجدىد ولا فترة لم يظهر فىها من يعارض التىار المنحرف وىكافح الفساد الشامل، وىرفع صوت الحق وىتحدى القوى الظالمة وعناصر الفساد، وىفتح نوافذ جدىة فى التفكير. وذلك شأن الاسلام فانه - وإن كان مؤسساً على عقائد ثابتة وحقائق خالدة - زاخر بالعىاة حافل بالنشاط، له من الحىوىة معىن لا ىنضب ومادة لا تنفذ، صالح لكل زمان ومكان، وعنده لكل عهد جدىد من اطوار العىاة ولكل جىل جدىد من الاجىال البشرىة ولكل عهد مستأنف من عهود التارىخ، ولكل مجتمع عصرى

من مجتمعات البشر مدد لا يقصر عن الحاجة ولا يتأخر عن الاوان.

من هذه الشخصيات شخصية طلعت على افق تركيا في اواسط القرن التاسع عشر باسم بديع الزمان سعيد النورسي الذي عاش تلك المرحلة الدقيقة التي تنتقل فيها تركيا من طور الى طور، وكان مرهف الحس وذكيًا فطنا ففترس الخطر المحقق ببلاده وساءه ذلك الوضع السائد فيها من فشو الجهل والبطالة ووجود الأمية في الاوساط الشعبية وخمود تلك الشعلة الايمانية والغيرة الدينية التي كانت متأججة في الشعب التركي من ذى قبل فشمّر عن ساق الجد لمحو الامية ونشر العلوم الدينية فعكف على دراسة القرآن دراسة عميقة ككتاب خالد مليء بالحيوية والنشاط يحل المشاكل والقضايا ويفك الالغاز وصالح لكل زمان ومكان، كما كانت له اليد الطولى في العلوم الجديدة من التاريخ والفلسفة والرياضيات والفلكيات وغيرها حتى اصبح جامعاً بين العلوم القديمة والجديدة، يشار اليه بالبنان ويجلّه كبار العلماء في عصره وكان متصدياً للدرس والافادة، والظروف في البلاد في طور الانتقال وسيل الحضارة الغربية يجرى فيها من غير هوادة ولا رحمة فخرج من تلك الزاوية العلمية وخاطب اصحاب السياسة والحكومة بمقالاته وكلماته التي رفع فيها اللثام عن وجه الخطة التي دبرتها عقول الاعداء في الدولة العثمانية بإعلان القانون الجديد وشرح المفهوم الصحيح للحرية في الاسلام وطالب من الدولة العثمانية تنفيذ الشريعة في البلاد. شارك في الحرب العالمية الاولى بنفسه ثم ابلى بلاءً حسناً في جهاد فقّاس ضد روسيا وألقي عليه القبض فيه وبقي اسيراً سنتين عندهم ثم رجع الى بلاده بعد ركوب الاهوال وتحمل المشاق.

نظراً الى هذه البطولات والتضحيات أعجب به السياسيون والسخّ عليه كمال اتاتورك بالذهاب الى أنقرة سنة ١٩٢٢ واستقبل استقبالاً حاراً على المحطة لكنه ما لبث ان عثر على تلك التعديلات التي قام بها كمال والتي تجعل الشعب التركي كله فريسة سائغة للزندقة والإلحاد، فاعدّ ورقاً للتقديم الى اعضاء البرلمان حث فيه على التمسك بالشريعة الغراء واثار فيهم شرارة الايمان الكامنة فتأثر ستون عضواً من البرلمان وعادوا الى الصلاة. ويذكر الشيخ هذا السفر في رسالة "الطبيعة" بيدي فيها تأسفة وقلقه:

" دعيْتُ لزيارة انقرة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٢م) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجم باندحار اليونان امام الجيش الاسلامي الا انني ابصرت خلال موجة الفرح هذه زندقة رهيبه، تدب بخبث ومكر وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة الى عقائد اهل الايمان الراسخة بغية افسادها وتسميمها فتاسفتُ من اعماق روعي وصرخت مستغيثاً بالله العلى القدير ومعتصماً بسور هذه الآية الكريمة (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) من هذا الغول الرهيب الذي يريد ان ينقض على اركان الايمان ويعمل معا وله في اسه واصوله فجئت ضمن هذه الرسالة ببرهان قوي حادّ قاطع يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج اشلاءها باللغة العربية واستقيت معانيها من نور هذه الآية الكريمة لإثبات بدهاه وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته.(١)

عاد الشيخ من هذا السفر كئيباً حزيباً يأخذه اليأس من هذا الرجل الذي كسب سمعة كقائد حربي ممتاز ولقّب بالغازي في بعض المعارك ولكنه كان رجلاً لا دينياً ملحداً منذ نعومة اظفاره لا يمت بصلة ما الى العقيدة الاسلامية والشريعة الغراء كما يصفه "عرفان اوركا" في كتابه "اتاتورك" الذي ألفه -بالانكليزية- عن اعجاب واخلاص بشخصية كمال، يقول: " كان قليل الاختلاط غير محبب بين الاصدقاء في حياته المدرسية وكان يتسلى بالخمير ويشغل نفسه بها فانه لا يجد ما يسلي به نفسه وروحه كالايمان بالله واليوم الاخر لانه كان لا يؤمن بهما.."

ويقول في موضع: قد اقتنع بان كفاحه يجب ان يوجهه الى الدين. فانه منافسه الاكبر. وكان يعتقد من صغره انه لا حاجة الى الله انه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة. وكان لا يؤمن الا بالمشاهد المحسوس.

ان نشأته الفكرية وتطورها وميوله وطبيعته جعلت تركيا تؤول الى العلمانية والثورة على الماضي والتغرب المتطرف والدكتاتورية العسكرية، واقام في انقرة حكومة مستقلة، وألغى الخلافة وسلطنة آل عثمان، وكان اول رئيس لها سنة ١٩٢٤م وبذلك اراد تحويل البلاد رأساً على عقب. وجنّد لذلك كل طاقاته وقام باعمال العنف والتعسف ليخلع الشعب التركي جلاب

التشخص الاسلامي وليتخلى عن الحضارة الاسلامية التي ورثها ابا عن جد واحتضنها حبا وكرامة".

ان الشيخ شاهد هذه الظروف بعيني راسه بل اكتوى بناها ولعب دوراً فعالاً فيها ولكنه امتاز بين اقرانه بأمرين:

الامر الاول: هو فكره الحصيف ونظرته الثاقبة ورأية السديد في تلك الاوضاع السائدة على تركيا ما عدا جهاده الطويل وتضلعه من العلوم القرآنية والقيام بخدمتها ونشرها، انه انعم النظر على الاحوال ونزل في اغوارها وعثر على مواضع الضعف فيها وعرف المنافذ التي تهب فيها الرياح العاتية والعواصف الهوجاء التي تقضى على الحديقة الغناء وتآكل اوراقها الخضراء كما تأكل النار الحشيش فوضع اليد على الوتر الحساس. فانه راي على راس قائمة هذه المواضع الضعيفة تلك الفكرة الخاطئة والحركة الهدامة التي نشرت وانشئت باسم "القومية" لان كل حركة للقومية في العالم الاسلامي اتخذت فلسفة لنظامها وتطورت الى عقيدة، كانت تحديا للاسلام وحاولت ان تسيطر على تلك المساحة للحياة الانسانية التي كانت خاضعة لحكم الاسلام وسيادته واشتملت هذه الحركة على العقائد والاخلاق والعواطف ومشاعر الحب والكراهية والولاء وعدم الولاء ورباطة الجأش والحماس وجميع العناصر والاجزاء التي تشتمل عليها الاديان السماوية، وتعتبرها جزءاً منها ولاجل ذلك كانت كل حركة من هذه الحركات التي لها هذا الشان والاحتواء والمضمونات والتاثير موضع حذر بل موضع خطر لدى المؤمنين بالدين السماوي الاخير، الدعاة اليه عن بصيرة وايمان. فبادروا الى محاربتها باعتبارها منافسة لهم لان نشوءها وانتشارها يحملان في اعقابهما اخطاراً تفك الوحدة الاسلامية وتنشر الالحاد والضلال من جرائها وكانت مقاومتها وكبح جماحها الواجب الاول في نظرهم، وتستوى في هذا الامر حركات القومية والوطنية التي نشأت في تركيا وايران وكردستان وافغانستان، وتصدى الغيارى على الدين والراسخون في العلم واصحاب العقيدة السليمة في هذه البلاد كلها لمواجهة تلك الحركات وكان شعارهم تحطيم جميع هذه الاصنام العنصرية والثقافية واعلان (ان هذه اممكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون). فتصدى الشيخ لمواجهة هذه الحركة القومية ودحض اباطيل هذه الفكرة الباطلة بجميع امكانياته وحذر جمع المصابين بهذه الفكرة بقوة البيان وبالغ الحجة.

ويخاطب اخا تركيا ويحذره من ان يقع فريسة هذه الفكرة لان قوميته امتزج بالاسلام: يقول: "احذر وانتهبه! انت بالذات، فان قوميتك امتزجت بالاسلام امتزاجاً، لايمكن فصلها عن الاسلام ومتى ما حاولت عزلها عن الاسلام فقد هلكت اذاً وانتهى امرك، ألا ترى ان جميع مفاخرك في الماضي قد سجل في سجل الاسلام، وان تلك المفاخر لا يمكن ان تمحى عن الوجود قطعاً فلا تمحها انت من قلبك بالاستماع الى الشبهات التي تثيرها شياطين الانس".

ان الذي حافظ على حياة الدولة الاسلامية وكيانها - رغم ان تعدادها عشرون او ثلاثون مليوناً - تجاه جميع دول اوربا العظيمة هو هذا المفهوم النابع من القرآن الكريم الذي يحمله جيشها "اذا مت فانا شهيد وان قتلنا فانا مجاهد" هذا المفهوم دفع ابناء هذا الوطن الى استقبال الموت باسمين مما هزّ قلوب الاوربيين وارهبهم، ترى اي شئ يمكن ان يبرز في الميدان ويبعث في روح الجنود مثل هذه التضحية والفداء وهم ذوو افكار بسيطة وقلوب صافية؟

اي عنصرية يمكن ان تحل محل هذا المفهوم العلوي؟ واي فكر غيره يمكن ان يجعل المرء يضحي بحياته وبدنيته كلها طوعاً في سبيله؟". (٢)

وفهم الشيخ ان هذه الحركة ليست قائمة على فكرة لاثقة بأى بلد او جديرة بأى مجتمع بل انما هي جريمة قومية تبز جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الامة وانها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ وانها خطوة حاسمة مشئومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي. ولاشك ان القومية في كل جانب من جوانب الارض سفينة تنخرت وتفككت الواحها وتناثرت مساميرها وتحارب ربابيتها وكتب عليها الغرق فلا يجوز للمسلمين ان يلتجؤا الى هذه السفينة المضطربة المشئومة وعندهم سفينة النجاة التي تسع العالم كله وتوصل الناس الى شاطئ السلام.

الامر الثاني: هو اختيار منهج دعوي آخر يلائم الظروف التي آلت اليها تركيا وقد اشتغل عقله في فتح الجبهات الجديدة

وتهيئة مجالات الكفاح بعد عودته من معتقله وبعد ما اخفقت ثورة "سعيد بيران" ولقي المسلمون الغياري على دينهم خسائر فادحة في ارواحهم وممتلكاتهم. قد اشار عليه الشيخ ان لا يختار في هذه الاوضاع هذه الطريقة الثورية لان ضررها لا يعود الأ على المسلمين المتحمسين.

ونفي الشيخ من بلده ولم يزل من منفى الى منفى حتى جاءه الاجل، لكنه شمر عن ساق الجدل لتجلية الفكر الاسلامي وإنعاش الروح الدينية وإعادة الثقة بالنبوة المحمدية العالمية وبالشريعة الاسلامية الغراء الصالحة لكل زمان ومكان والمسايرة مع كل عصر ومصر في الشعب التركي والجيل المفتون بسحر الحضارة الغربية، واختار لذلك توجيه الرسائل التي تكون حاملة لفلذات كبده ودقات نفسه وتكون ملتزمة بالشعلة الايمانية والغيرة الدينية الى الشعب التركي افراداً وجماعات كأنه استوحى هذا المنهج من الامام احمد بن عبدالأحد السرهندي الذي اختار هذا الاسلوب الدعوى المؤثر فنجح فيه ايما نجاح وغير مجرى التاريخ وحول البلاد التي كانت سريعة المشي الى الردة العامة الى احترام الشريعة وتنفيذ احكامها.

ان رسائله لتدل دلالة واضحة على حاجة الشعب التركي خاصة والعالم الاسلامي عامة في تلك الظروف والملابسات الى عباقرة من العلماء يقوموا باعادة الثقة بالدين وبالرسالة المحمدية الخالدة وبالشريعة الاسلامية وكان يتوجع على هذه الاحوال ويتألم قلبه ويبكي عليها، وبهذه الطريقة حفظ الامة الاسلامية التركية من خطر الردة العقائدية والفكرية والحضارية الشامل التي ظهرت بل توسعت في ارجاء تركيا وتسيطر بتلك الشخصية القوية صاحبة الكلمة النافذة والارادة الحديدية كمال اتاتورك وكان هذا التحول المعنوي والردة الفكرية أخطر وأدق وأرسخ جذوراً من انقراض الدولة العثمانية والانهار السياسي. وقام المعجبون به وتلامذته بنشر هذه الرسائل وبتبها في القرى والارياف رغم الحظر من الحكومة، فلعبت هذه الرسائل دوراً عظيماً في مجال إعادة الثقة بالشريعة الاسلامية وبصلاحية الاسلام لمسايرة الركب البشرى بل لقيادته.

فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء، واسكنه فسيح جناته.

الهوامش

(١) كليات رسائل النور ج/ ٣ «اللمعات»: ٢٦٧

(٢) كليات النور ج/ ٢ «المكتوبات»: ٤١٧ ، ٤٢٠